آخر خبر الفلسطينيون يسيرون أول سفينة تبحر من غزة لكسر الحصار الإسرائيلي

إمرأة الرسام محمد الروّاس مفتاح الزمن

بيروت - مهى سلطان ا منذ 19 مايو 2016 / 06:45

(http://www.alhayat.com/uploads/imported_images/70/9/967/bee77347f4c14c38a7520e714ce28d8d.jpg)

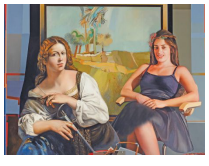

(http://www.alhayat.com/uploads/imported_images/70/9/967/68ec9aebbda14d3488e7676e37cd52ce.jpg)

(http://www.alhayat.com/uploads/imported_images/70/9/967/febe0c3c9d56485aacaaff1cf7f64bb7.jpg)

يفتح الفنان محمد الروّاس الأزمنة بعضها على بعض... يفتح أبواب المتاحف والمحترفات والمشاغل، يسطو على المخيلة يدمج حذاقة الميكانيكا برياضيات علم الجمال، كما يمزج الحقائق بالأوهام، والفن بالأسطورة، ويستدرج العاطفة إلى العقل، ليجد أن كل مباحثه الجمالية منذ سنوات فتوّته وطوال مسيرته الفنية كان محورها المرأة ملهمة الفن عبر العصور، ومن خلالها وجد أن المصالحة المستحيلة أو الافتراضية بين الماضي والحاضر ممكنة، وأن مهارته في الرسم الكلاسيكي، كصورة مزيفة عن الواقع بكل غواياته وفتونه لا تقل شأناً عن الهالات السحرية لفن التركيب ودمج العوالم والأشياء باستعاراتها الشعرية والتجوال في المعاصرة. لذا يستمد معرضه الجديد الذي يقيمه في غاليري أجيال (شارع عبدالعزيز- حتى 28 مايو) تحت عنوان «تمجيد المرأة» أهميته من الانقلابات الأخيرة التي عرفتها تجاربه، ليس على مستوى القناعات والمفاهيم، بل في العودة إلى مسلّمات اللوحة التقليدية بسطحها الأملس، بعد مراحل من الاشتغال على طبقات من التشييد والتركيب في العمل التجميعي Assemblage، وكذلك في ثورة الخروج من الحائط إلى الأبعاد الثلاثية، في منحوتات عصرية بخامات متنوعة منفّذة بحِرفية ماهرة كي تظهر كمَركبات خيالية معدة لتقتحم فضاءات الغد المجهول.

ADVERTISING

inRead invented by Teads

في أعماله الجديدة المنفذة ما بين عامي 2013 و2016، يستعيد محمد الروّاس قديمه الفني بشيء من الحنين، بالنظر إلى محتويات ذاكرته البصرية الماثلة في محترفه، كاشفاً عن المحركات الخفية لأفكاره التي راودته منذ بداياته الفنية في مطلع السبعينات، كما ألهمته وصنعت بالتالي جاذبية أسلوبه الفني بمساراته المتنوعة، ومكّنته من الغوص في تفهم أسرار الابتكار وعناصر التكوين وكشوفات التقنية وجماليات الأشكال. تلك البدايات الملهِمة ليست إلا حكاية الموديل- الجسد، الذي يتراءى عن طريق التشخيص أو التجريد، في بضعة لوحات، سرعان ما شكلت مبرراً لدخولها في لعبة تداعي المستويات المتعارضة والخلط بين الأزمنة.

لوحة داخل لوحة

لوحة داخل لوحة، هكذا قام الروّاس بإدراج قديمه كخلفيات تتفاعل مع المسطحات الأمامية الشبيهة بعتبات أو منصات أو خشبات مسرح عبثي، يستضيف مزيداً من النسوة: نساءٌ عارضات، آلهات أساطير، ربات الجمال، حارسات المعابد، عرّافات ومحاربات وقديسات وأمهات ومُلهمات. هكذا يدعونا الروّاس كي نتأمل طاقات فيض العلاقات القائمة في التيمات التشكيلية ما بين القديم والحديث وما بين الجزء والعام وفق مقولة الفيلسوف غاستون باشلار «ما أنظر إليه ينظر إليّ». هكذا يتحول العنصر العرضي المحايد (نماذج من أعمال البدايات) إلى عنصر ذاتي حار ومتوهج يذوب في نسيج اللوحة كإشارة لذكريات شفافة سرعان ما تقودنا إلى غواية تأمل الفضاء الدلالي لمسرح التجريب في مكونات عناصر اللوحة المأهولة بالعناصر والتفاصيل والأكسسوارات وضربات النور وانكسارات الظلال، ناهيك عن المناظر الطبيعية التي سرعان ما تضم الخارج البعيد إلى عالم الحُجرة القريب. إذ لا تكفيك الرؤية بالعين وإنما تلزمك أيضاً الرؤية بالقلب لفرط الجلاء اللوني الأخاذ الذي يهيمن على هندسة المكان. فمنذ اللحظة التي يبدأ فيها المرء بقراءة تموضع موديل المرأة في لوحة الروّاس وتحليلها، تتولد قراءات أخرى ومعايير متعددة لمقامات الأشكال الأنثوية التي تطل ملامحها كأفكار متنوعة باحتمالاتها، تحمل شغف التفاعل مع تنامي الأساليب النهضوية والحديثة والمعاصرة، وصولاً إلى بهجة إخراج الموديل من المكانية والزمانية في فضاءات اللوحة وتجسيدهما في ميكانيكا لعبة مصنوعة بغرابة كمفتاح رئيسي يفتح كل الأبواب على أحجيات ظريفة. فقوام الاكتشاف السيميائي في فن الروّاس أن ننظر إلى الشيء نفسه، كما ينظر إليه كل شخص آخر وأن نفكر بشيء مختلف.

محمد الروّاس دادائي الفكر وكلاسيكي الهوى، ثابت ومتأجج في آن واحد، تفكيكي شغوف بالتجريب والتوليف واللعب ولكن بتأنٍ وحذر ودراية. فلوحته مقفلة ومفتوحة في آن واحد، ثابتة ومائجة وهوائية، لكنها بالتأكيد تقول أشياء كثيرة دفعة واحدة على مر الأوقات التي قضاها الروّاس في صوغ لوحته أو تحفته. لعل قوته الإبداعية كامنة في تمكّنه من القبض على الواقع على أنه حقيقة مرئية، واللعب على المعاني وطريقته في قطع السياقات وقدرته على توليد الصور وتركيبها بتنوع مدهش. فهو يستحضر في نتاجه الجديد إمكانيات أساليبه البلاغية القديمة حين كان يلعب بشرائط الحديد في محترف منير عيدو.

كما لو أن حرفة اللعب رسخت في فنه دلالات الدهشة كعتبة للتجريب التقني واليقين المحفوف بالمخاطرة والشك، وأن تحولات الشكل الأنثوي الذي حققه طوال أكثر من أربعين عاماً هو من تداعيات التأثير السحري الغامض حين تتوالد الرؤى الواحدة عن الأخرى. لذا يتجول عبر الأزمنة والفصول كي يبحث عن أحوال امرأة تتماهى في محور اللحظة التي تشكل امتداد الزمن وتطوره. إذ إن محور الزمن كمبحث جمالي بات الأمر الواقع المسيطر، على مفهوم ذاكرة الأشياء والرموز والدلالات الموجودة في أبعاد المنظور.

عناصر متممة

المشهدية في فن الروّاس تقوم وفق قول رولان بارت: على إظهار الأشياء، ليست تلك التي يشخّصها الفنان ولكن تلك التي يستخدمها»: بهذا المعنى لا يتخذ معنى التكامل الفني في لوحة الروّاس إلا من العناصر الصغيرة المتممة، برموزيتها وجمالاتها وما تمثله بالنسبة إلى عصورها الفنية وما تخلقه من علاقات: عناصر تمثل النهضة الإيطالية والروح الألمانية (الأرنب - كرمز منذ البرشت دورر Dürer حتى جوزف بويز Beuys)، والباروك ثم عالم الأدوات: الكراسي، الطاولات، الأواني، الآلات الموسيقية، الوسائد، الأقمشة، الأسلحة، أواني الزهور، التماثيل الجصية، النماذج الصامتة، اللُعب، المناظر، كل ذلك من أجل إحداث صدمة بصرية غير متوقعة في طريقة إدراج المعروف بجانب المجهول، القديم بمحاذاة المعاصر، في صوغ متنامٍ للقيم والرموز والدلالات المحيطة بعالم المرأة قديماً وراهناً. أي استمرار الدلالات الغامضة التي تعطي لمعنى تشتت الأشكال متعة الوجود، المتعة التي تقلب الوجود كلحظة في محور زمني خاطف، حيث أحوال التموضع وخواء الانتظار الأزلي والهدوء الذي يضاعف وقع الصمت ومساحته الملتبسة.